جامعة الدمام
UNIVERSITY OF DAMMAM

المحاضرة الرابعة

العوامل الخارجية التي أدت لضعف العالم الإسلامي

التحدي المغولي " التتري " :

- المغول والتتار قبائل موطنهم الأصلي منغوليا –شمال صحراء غوبي –وكانت هذه القبائل تقضي أوقاتها في النزاعات القبلية للبحث عن منابت العشب وبواطن المياه .

-دانت هذه القبائل بالوثنية التي تعرف باسم –الشامانية- تقول بوجود قوتين " قوة الخير والنور والدفء وقوة الشر والظلام والبرد ويسكن إله الخير في الشرق وإله الشر في الغرب وتقوم ممارساتها على السحر وعلى الرشاقة الجسدية من رقص وغيره فاكتسبت كلمة شامان معني الساحر .

استطاع تيموجين بن بسوكاي الذي ولد في منغوليا عام 449هـ/1155م أن يوحد هذه القبائل عام 603هـ / 1206م ووضع لهم دستوراً اجتماعياً حربياً مختصراً عرف باسم الياسةالكبري أو اليساق بالغ الشدة والعنف للطاعة فيه أكبر نصيب فكانوا أعظم الأمم طاعة لسلاطينهم .

بعد أن وحدهم لقب نفسه –جنكيزخان – أي أعظم الملوك واندفع بهم إلى الصين واستولي على بكين عام 612هـ فاستولي بذلك على مزيد من الكنوز والنفائس وتعلم المغول استعمال البارود .

تمكن من القضاء على دولة الخطا السوداء –قرة خطي – التركية المتاخمة لبلاد الصين 615هـ فأصبح يطرق أبواب العالم الإسلامي ويتحداه وكان هذا التحدي شريكاً لبعض الوقت للغزو الصليبي على عالم الإسلام وقد حمل بربرية ووحشية غوضت الحضارة الإسلامية.

اصطدم جنكيزخان بالدولة الإسلامية الخوارزمية – وكانت قد ظهرت سنة 490 هـ / 1096 م بعد أن ضعفت دولة السلاجقة ، وكانت بمثابة السور الفولاذي المنيع ، الذي يحمي الجبهة الإسلامية من جهة المشرق ، تمتد من العراق العجمي غربا ، إلى نهر السند شرقا ، ومن شمال بحر قزوين ، وآرال شمالا ، إلى الخليج العربي . والمحيط الهندي ، جنوبا شاملة : أذربيجان ، والعراق العجمي ، وفارس ، وكرمان ، وكمران ، وسجستان ، وخراسان ، وأفغانستان ، والبامير ، والصغد ، وما وراء النهر . وكان على رأس هذه الدولة حين بدأت تطرقها المطارق المغولية السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه .

-هاجم جنكيزخان الدولة الخوارزمية سنة 616 هـ / 1219 م ، وخاضت خوارزم حربا مدمرة مدة خمس سنوات ، إلى أن تمزقت أوصالها ، واكتسح المغول أراضيها ، وأقاموا المجازر في بخارى .

-وسمرقند ، ومرو ، ثم بلخ ، ونيسابور ، والري ، وهمدان ، وغزنه ، فأبيد الملايين من السكان ، وتهدمت ألوف المساجد ، ودور العلم العامرة ، وتحولت حواضر الإسلام الزاهرة في تركستان ، وفارس ، إلى كتل من اللهب ، والخراب . وترك جنكيز الدولة الإسلامية الخوارزمية أشبه ما تكون بصحراء جرداء ، فأباد سكانها ، وخرب مدنها العامرة ، وأحرقها .

توفي جنكيزخان عام 624 هـ / 1227 م فقام حفيده هولاكو بإتمام دوره في بلاد الإسلام ، فتحالف مع الصليبيين ، وكانت أمه نصرانية قال عنها ابن العبري : " أحسنت تربية الأولاد ، وضبط الأصحاب ، وكانت لبيبة مؤمنة ، تدين بالنصرانية ، وتعظم محل المطارنة والرهبان ، وتقتبس صلواتهم وبركتهم " .كما كانت زوجته نصرانية ، وأعلن الخاقان الأعظم أنه إنما أرسل هولاكو إلى غرب آسيا ليقضي على الخلافة العباسية

كما كانت زوجته نصرانية ، وأعلن الخاقان الأعظم أنه إنما أرسل هولاكو إلى غرب آسيا ليقضي على الخلافة العباسية ، ويعيد بيت المقدس ، بعد أن كان قد حررها صلاح الدين عام 583 هـ .

-فاعتبر هولاكو نفسه محررا للنصارى من المسلمين ، وأرسل إلى الصليبيين قبل أن يبدأ غزوه المسلمين يقول :

" إن لدينا أعدادا كبيرة من المسيحيين بين قبائلنا ، وقد جئنا بقوتنا ، وسلطاننا معلنين ضرورة تحرير جميع المسيحيين من العبودية ، ومن الضرائب ، التي فرضها عليهم المسلمون ، ومعلنين ضرورة معاملة المسيحيين معاملة تليق بهم ، فلا يعتدى عليهم ، ولا على تجارتهم أحد ونحن نصرح بأننا سنعيد بناء الكنائس التي خربها المسلمون " .

كما قام وزير المستعصم الخليفة العباسي وهو (ابن العلقمي محمد بن محمد) بمكاتبة هولاكو ،

قام وزير المستعصم الخليفة العباسي وهو (ابن العلقمي محمد بن محمد) بمكاتبة هولاكو ، وجسره ، وقوى عزمه على قصد العراق ، وابن العلقمي هذا رافضي شيعي ، قام بإضعاف الخلافة العباسية بمكائده المختلفة ، وأضعف الجيش ، وقلل عدده ، وأشار على الخليفة بمداراة هولاكو .

فاستطاع هولاكو بتشجيع من النصارى ، والشيعة ، الوصول إلى بغداد عاصمة دار الإسلام ، ودار السلام ، وبمساعدتهم تمكن دخول بغداد بجحافله ، فخربوا المساجد وأتلفوا المكتبات ، بإحراق الكتب ، أو بإلقائها في نهر دجلة ، وقتلوا معظم سكان بغداد دون أن يستثنوا امرأة ، أو طفلاً ، ودون أن يعطفوا على مريض ، أو يقدروا عالما .

قدر المؤرخون القتلى بمليون وثمانمائة ألف ، وبمليون ، وبثمانمائة ألفوقتل الخليفة المستعصم ، بتشجيع وتحريض من ابن العلقمي ، ونصير الدين الطوسي الاسماعيلي .

وكان ابن العلقمي يطمع أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضة باتخاذه عند هولاكو يدا ، وعمل بالفعل على تعطيل المدارس والمساجد ، والجماعات ، والجمعيات ، والربط ببغداد ، واستمر بالمشاهد ، ومحال الرفض ، وكان يريد أن يبني مدرسة هائلة للرفض

وهكذا أصبحت بغداد – دار السلام – بفعل التتار ، والنصارى والرافضة مأوى لجماعة من النصارى ، والزلط ، والشيعة ، والوثنين فقد طلب هولاكو من بطريق النساطرة أن يجمع النصارى في إحدى الكنائس ، حتى يميزوا عن غيرهم ، فلا يتعرض لهم جند التتار .

وكان سقوط بغداد عاصمة الخلافة أشبه بزلزال رهيب ، دك بنيان بلاد الإسلام من أقصاها إلى أقصاها ، ونظم الشعراء من العرب ، والفرس المرائي التي تشيع الأسى في النفس وتثير الشجون .

تقدم هولاكو بعد ذلك إلى الشام ، وهاجم حلب ودخلها بعد حصار شديد وتركها شعلة من اللهب والدخان ، ودخل كتبغا دمشق ، فسقطت حاضرة الشام صريعة تحت أقدام المغول سنة 657 هـ ، واشتركت معه فرق نصرانية أرمنية ، وإفرنجية ، فسنحت للنصارى الفرصة للتشفي ، والانتقام من المسلمين ، فنظموا مواكب عامة ، حملوا فيها الصلبان ، وأنشدوا الأناشيد ، ويذمون دين الإسلام وأهله ، وأجبروا المسلمين على أن يقفوا احتراما لمواكبهم ، ومن امتنع تعرض للسب والإهانة ، وبلغ بهم التحدي أقصاه فدقوا النواقيس ، وتظاهروا بالخمر في رمضان ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات .

وقيض الله سبحانه وتعالى لأمة الإسلام : المماليك في مصر ، بقيادة قطز ، والظاهر بيبرس ، وعلماء مثل العز بن عبد السلام (سلطان العلماء ، فتحركت في الأمة روح الجهاد ، واستثيرت طاقات الأمة .

وتحركت جيوش الإسلام من مصر عام 658 هـ / 1260 م والتقت بجيوش المغول تؤيدهم وتؤازرهم بعض النجدات النصرانية من الأرمن والكرج – في عين جالوت – بين بيسان ، ونابلس ، على أرض فلسطين في 25 رمضان ، وألقى قطز بخوذته على الأرض أثناء المعركة ، وصاح بصوت كالرعد :" وإسلاماه ، اللهم انصر عبدك قطز على التتار "

فكتب الله النصر المبين للإسلام ، وانهزم المغول هزيمة منكرة لأول مرة في تاريخهم ، بعد أن كانت القلوب قد يئست من النصرة عليهم ، لاستيلائهم على معظم البلاد الإسلامية ، ولأنهما ما قصدوا إقليما إلا فتحوه ، ولا عسكرا إلا هزموه .
فتكسرت حدة موجات التتار ، وتحول مدهم إلى جزر ، واسترجع المماليك منهم الشام بأكملها ، فكانت عين جالوت فاتحة سلسلة من الانتصارات توالت على المسلمين .

وبقي المسلمون يقاسون الأمرين من المغول ، في فارس ، والعراق ، واستمرت غاراتهم على الشام ، والمسلمون يردونهم ، كما حدث في وقعة حمص سنة 680 هـ .

وقد هداهم الله للإسلام فضاع على الصليبيين أملهم في الانتصار على المسلمين ، كما ضاعت مجهوداتهم من قبل في الشام ، فقد أعلن أحمد بن هولاكو إسلامه عام 680 هـ .

ولكن حالة المسلمين لم تمكنها من أن تبعث في نفوس المغول النواحي الإيجابية ، التي تقود إلى الأصالة ، وإلى المساهمة في رفع شأن الإسلام كدين ، وشريعة ، والمساهمة في بناء صرح الحضارة الإسلامية ، وأعمال (قازان) الذي غزا الشام ، واجتاحها ، سنة 699 هـ إلى سنة 702 هـ ، فاستمر العلماء يحرضون على جهادهم فكانت موقعة شقحب الفاصلة سنة 702 هـ ، التي انهزم فيها التتار هزيمة منكرة .

2- الحروب الصليبية :

مثل التحدي الصليبي ، التحدي الرئيسي في مواجهة الإسلام والمسلمين ، واستغلته اليهودية في صراعها مع الإسلام ، وقد حملت الدولة البيزنطية وزر مقارعة الإسلام فكريا ، وعسكريا ، من أول ظهوره ، إلى أن تهاوت وانهارت نهائيا تحت مطارق الإسلام عام 857 هـ / 1453 م .

فانتقل ذلك إلى الإمبراطورية الروسية ، والنمساوية ، وفرنسا ، وانجلترا ، في الوقت الذي كان فيه الاسباني ون ، والبرتغاليون ، يتحركون بدافع الحقد على الإسلام والمسلمين ، ويدفعون المسلمين عن الأندلس . وكل أولئكم يحركهم البابا في روما ، وتنفخ فيه الكنيسة روح الحقد على المسلمين ، وتثيرها حربا لا هوادة فيها . وبقيت هذه الروح هي المسيطرة حتى بعد أن انشقت الكنيسة الكاثوليكية ، وقامت بحركة الإصلاحات الدينية .

تمكن الأتراك السلاجقة أن يحيوا روح الجهاد في الأمة ، فحملوا راية الجهاد ، بعد منتصف القرن الخامس الهجري ضد البيزنطيين واصطدم سلطانهم ألب ارسلان بقوة بيزنطية هائلة ، كان يقودها الإمبراطور ديوجينس .
تشتت شمل النصارى في معركة ملاذكرد ، (مانزكرت) عام 463 هـ / 1071 م وكانت معركة من المواقع الحاسمة في التاريخ ، نتج عنها انتشار الإسلام في آسيا الصغرى ، وتركيزه ، وأصبحت من ذلك اليوم من ديار الإسلام – فاتجه أباطرة بيزنطة لتسوية الخلاف مع البابا ، واستنجدوا به لحمايتهم ، فوجدوا أذنا صاغية من البابا : (أوربان الثاني) الذي دعا للحروب الصليبية بإعلان (كليرمونت) عام 1095 م . بدأ التدفق الصليبي في الوقت الذي كان فيه المسلمون قد بدأوا بالتفتت والصراع ، بعد وفاة السلطان ملكشاه ، سنة 486 هـ / 1092 .

فانقسمت الدولة السلجوقية بعد خمس سنوات فقط من وفاته ، إلى خمسة ممالك متنافسة هي : مملكة فارس ، ومملكة حلب ، ومملكة دمشق ، وسلطنة سلاجقة الروم والعراق . وفي الوقت نفسه تعرضت بلاد الشام إلى انقسام آخر ، وظهرت وحدات سياسية عرفت باسم (الأتابكيات) مثل أتابكية دمشق ، والموصل ، وبعضها، والأتابكيات ، النزاع والحروب .وبالإضافة لذلك فقد دخلت هذه الدويلات مع الدولة الفاطمية التي (تحالفت مع الحركة الباطنية الإسماعيلية) في صراع مرير ، استنفذ طاقاتها المادية والبشرية .وفي هذا الجو تدفقت جموع الصليبيين يشترك فيها أمراء الإقطاع والفرسان ورجال الدين . فانتصروا في البداية ، وأطاحوا بملك سلاجقة الروم ، واستولوا على عاصمتهم نيقية ، سنة

491 هـ / 1097 م ، وكونوا في بلاد الشام ، وآسيا الصغرى ، إمارة الرها ، وإمارة أنطاكية ، وإمارة طرابلس ، ومملكة بيت المقدس اللاتينية ، عام 492 هـ / 1098 م .

ومن الجدير بالذكر أن الحروب الصليبية قد بدأت في الجزء الغربي من العالم الإسلامي قبل هذا التاريخ ، فسقطت صقلية فريسة سائغة لهجمات النورمان سنة 484 هـ / 1091 م .

ومحيت من خريطة البلدان الإسلامية ، فكانت الشهيدة الأولى ، التي ذهبت ضحية الإهمال والتخاذل ، وأما الأندلس فكانت سنة 407 هـ .

مبدأ التفرق والتمزق فكان عصر ملوك الطوائف ، فأخذت كفة النصارى ترجح ، وأصدر البابا (اوربان) مرسوما حرم فيه على رجال الدين ، والفرسان الأسبان ، المشاركة في صليبيات الشرق ، لأن محاربة المسلمين بأسبانيا لا تقل أهمية واعتبارا عن الحرب الصليبية الشرقية ، فنتج عن ذلك أن هرع الكثير من الفرسان من مختلف أوربا إلى الأندلس ، ليساهموا في حرب صليبية هي أقرب سبيلا ، وأيسر مشقة وعناء ، وأعلن البابا (باسكال الثاني) الحرب الصليبية ضد مسلمي الأندلس .

وتشاء حكمة الله تعالى أن ينهض في كل دور من أدوار التاريخ الإسلامي ، وفي كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي ، رجال يقومون في هذه الأمة على طريقة الأنبياء ، في ميدان القيم والمعتقدات ، يجددون أمر الدين ، وينفخون روح الجهاد في الأمة . تبعا للقاعدة التي لا تتخلف : **(إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)** . فظهر في بلاد الغرب دولة (المرابطين) ثم (الموحدين قارعتا الصليبيين في الأندلس .

ومن الله تعالى على العالم الإسلامي في القرن السادس الهجري بعماد الدين زنكي ، أتابك الموصل ، الذي التف حوله المخلصون من المسلمين ، وجعلوا دولته دار هجرة ، تداعوا إليها من جميع الأقطار فأخذ منذ توليه سنة 487 هـ يعد الناس إعدادا إسلاميا ، ويطهر الدين من التيارات الفكرية المنحرفة ، كالباطنية .

ولما استشهد سنة 541 هـ خلفه ابنه : الملك العادل نور الدين محمود زنكي (ت سنة 569 هـ) وفي نفس السنة تمكن عبد المؤمن بن علي من الموحدين أن يملك ما في جزيرة الأندلس من بلاد الإسلام يجابه الصليبيين هناك ، وتمكن نور الدين أن يهزم الصليبيين هزائم متوالية وأتم توحيد مصر ، والشام ، وشمال العراق ، والحجاز ، فوضع الصليبيين بين فكي كماشة . فقد دخلت قواته مصر ، بقيادة أسد الدين شيركوه ، سنة 562 هـ (

. في خلافة المستضيء بأمر الله ، الذي ولي الخلافة عام 566 هـ ووصفه المؤرخون أنه (أي نور الدين) كان : " ملكا صالحا ، ظاهر الدين ، بنى المساجد والمدارس والرباطات ، وفتح الأمصار ، وغزا الفرنج عدة غزوات "

ولما توفي نور الدين ، رحمه الله ، سنة 569 هـ ، أتم مهمته الناصر صلاح الدين ، يوسف بن أيوب ، الذي هيأه الله سبحانه وتعالى لاستخلاص بيت المقدس ، فقد جمع فيه من خصال الحزم ، والعز ، والإخلاص ، والحرص على الجهاد ونصر الإسلام ، ومكارم الأخلاق ، ما لا يجتمع إلا في أفذاذ الرجال ، فكان معجزة من معجزات الإسلام التي تتكرر ودليلا على أن الإسلام لم ينته دوره ، ولم يفقد الحيوية والانتاج ، فقد استجمع طاقة الأمة ، وهزم الصليبيين في معركة حطين بفلسطين ، عام 583 هـ / 1187 موكسر شوكتهم ، واستعاد بيت المقدس ، وأحضر له المنبر ، الذي أعده نور الدين بن محمود للمسجد الأقصى ، فعاد الإسلام إلى تلك الديار غضا طريا .

استطاعت الحروب الصليبية التي استمرت قرنين في المشرق ، استنزاف جميع القوى البشرية ، ، في منطقة الشام ومصر ، واتسم الفكر الإسلامي في هذه الفترة بطابع المقاومة ، والتحدي ، ورد الفعل ، بالدعوة إلى الجهاد وإبراز القدوة الحسنة ، ذلك كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكما فعل قبله سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، ومن نتائجها أيضا ، أن ألقيت مقاليد الأمور بيد العسكريين ، لبروز روح التحدي ، والجهاد هذه ، فجمدت أوضاع المسلمين

الاقتصادية وتناقصت الثروة ، وضعفت الأيدي العاملة ، بالإضافة إلى الخراب ، والدمار ، الذي حل بالمسلمين في جميع أقطارهم وخاصة الشام ، ومصر ، وآسيا الصغرى وتونس والأندلس .

وقد عزلت الحملات الصليبية الأندلس ، عن قاعدته في المغرب الإسلامي ، وأخذت في تفتيت المسلمين ماديا ، ومعنويا ، بصورة بطيئة ، مع تجريدهم بصورة مستمرة من مصادر قوتهم . وبالرغم من ذلك بقيت الأندلس تقاوم ، واحتملت فوق قدرة احتمال البشر ، على امتداد قرون عديدة ، إلى أن سقطت غرناطة ، آخر معاقل المسلمين ، سنة 897 هـ / 1492 م بيد فرديناند وإيزابيلا .

فاغتصبت أرض الأندلس الإسلامية ، واستوطنها الصليبيون الأوربيون ، وقد عانى المسلمون فيها معاناة عجيبة ، فلم يقبل منهم الصليبيون أحدا ، حتى الذين تنصروا من المسلمين الذين أطلقوا عليهم اسم (المورسك) .

وخوفا من أن يبقى منهم من يحتفظ بالإسلام ، سلطت النصرانية الصليبية على مدن أوربا محاكم التحقيق ، التي أحرقت الألوف من الناس علنا . وقضت على حضارة المسلمين في الأندلس ، وظهر من المتعصبين الكثيرون مثل (خمينز) الذي فرض النصرانية على أهل غرناطة بالعنف ولما طلب المتنصرون أن تكتب لهم تعاليم النصرانية بالعربية ، لغتهم ، رد عليهم : " إننا لا نرمي حبات الدر النفيس للخنازير " . وهذا هو نفسه الذي أحرق المخطوطات العربية الرائعة التي بلغت على أقل تقدير ، ثمانين ألف مخطوطة ، في غرناطة وحدها . وكانت قد ضاعت أيضا صقلية وجنوب إيطاليا وجزر البحر الأبيض المتوسط واستوطنها الصليبيون الأوروبيون ، كما حدث في العالم الجديد إثر الاكتشافات الجغرافية

استفاد الغرب الصليبي من الحروب الصليبية كثيرا.

- سياسيا : ازدادت سلطة الملوك ، باشتراك عدد كبير من أمراء الإقطاع مع فرسانهم في الحروب الصليبية ، فخلا الجو للملوك فزادت سلطاتهم على رعاياهم ، فظهرت الممالك الأوربية الحديثة . مثل بريطانيا ، وفرنسا ، وبروسيا ، وروسيا .

- **اجتماعيا :** اقتبس الأوربيون كثيرا من مظاهر الآداب الاجتماعية والأخلاق ، واللباس ، من المسلمين ، وعادوا لتطبيقها على أوربا كما اهتزت طبقة الإقطاعيين وأخذت تظهر طبقات أخرى ، مثل الطبقة الوسطى من التجار خاصة ، والتي دعيت بالطبقة البرجوازية .

اقتصاديا : فقد تسلم الأوروبيون زمام التجارة بأنفسهم ، وتعلموا بعض الصناعات ، وخاصة صناعة الحرير ، والزجاج ، والورق ونقلوا بعض أشجار الفاكهة إلى أوربا ، وتعلموا أساليب الزراعة .

علميا وثقافيا : فقد نشأت حركة واسعة في ترجمة العلوم والمعارف الإسلامية ، إلى اللاتينية ، بعد أن أطلع الأوروبيون على معلومات جغرافية ، وفلكية ، وتاريخية وزراعية ، مكنتهم من حب الاستطلاع . وباختصار فقد أحدثت الحروب الصليبية تغيرا في أوربا في مختلف نواحي الحياة ، ومجالاتها ، ونقلتها من عصر الإقطاع المظلم ، إلى عهد جديد أطلق عليه اسم : **عصر النهضة** – وحركة النهضة هذه حركة تغيير شاملة لجميع نواحي الحياة ، السياسية والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية في أوربا وامتدت من القرن الثاني عشر الميلادي إلى القرن السادس عشر . وابتدأ في ايطاليا لصلتها الكبيرة بالعالم الإسلامي من بقية أوروبا عدا أسبانيا ، والبرتغال

يمكن تلخيص أسباب اليقظة الأوروبية في :

1- الروح الدافعة التي بثها الإسلام ، وحضارته ، في أرجاء العالم ، فأخذت تسري في أوصاله ، مجددة حياته وقواه ، وقد تلقفتها أوربا عن المسلمين إبان الحروب الصليبية في الشرق وعن طريق الأندلس ، وصقلية ، وجنوب ايطاليا والجامعات الإسلامية .
2- التمرد على الكنيسة الجاهلة ، ونبذ سلطانها السياسي ، والديني بكل ما يمثله من خطايا ، وأخطار ، وحجر على التفكير ، وكبت للعلم واضطهاد للعلماء ، باسم دين الكنيسة ، وعصمتها .

3- حركة الاستعمار الأوروبي :
درج المؤرخون الأوروبيون على تقسيم العصور التاريخية إلى :
1- **العصور القديمة :** وتبدأ من ظهور الإنسان إلى عام 476 م وهو العام الذي سقطت فيه الإمبراطورية الرومانية الغربية بسقوط عاصمتها روما بيد (ادواكر) زعيم القوط من البرابرة .
2- **العصور الوسطى :** وتبدأ في رأيهم من عام 476 م وتمتد إلى عام 1453 م وهو العام الذي سقطت فيه الإمبراطورية الرومانية الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) على يد السلطان العثماني محمد الفاتح .
3- **العصور الحديثة :** وتشمل الفترة الممتدة من عام 1453 م إلى الآن.
ويجب ملاحظة أن حوادث التاريخ متصلة الحلقات ومتداخلة ومن المستحيل فصل عصر عن عصر .

ملامح تاريخ أوربا في العصور الوسطى :

1-**سيادة نظام الإقطاع في أوربا :** لقد أدى اندفاع البرابرة من القبائل الجرمانية (القوط الشرقيين والغربيين والفرنجة والانجليز والسكسون والبيرغنديين) وانهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية إلى انعدام الأمن وانتشار الخوف والرعب والدمار والخراب ، فلجأ الضعفاء إلى الأقوياء يلتمسون الحماية ، وتنازلوا عن أرضهم وعن حرياتهم مقابل الحماية.
فنشأ ما يسمى بنظام الإقطاع بقلاعه الحصينة وفرسانه . وهو نظام اقتصادي اجتماعي حربي ، يقوم أساسا على حيازة الأرض . وقد أصبح المجتمع الأوربي في ظل هذا النظام مجتمعا طبقيا على رأسه الأشراف أو النبلاء وهم السادة من مالكي الأرض .
2-**سيادة نظام الكنيسة في أوربا :** دخل في روع النصارى أن بطرس تلميذ المسيح أسس كنيسة روما تجسيدا لمسيح دائم وأن بطرس هو رأس هذه الكنيسة ، فالكنيسة عالمية ورئيسها (أسقفها) خليفة بطرس رأس جميع الأساقفة كما أن كنيسة روما هي رأس الكنائس وأمها ، واعتقدوا أن السلطات الموعود بها القديس بطرس لا تقتصر على السلطة التعليمية بل يجب أن تمتد إلى مجال الولاية كله ، والله (كما أوحى لهم القسس) يقر في السماء ما يقره بطرس أو يرفعه على الأرض من الواجبات ، وللبابا خليفته مثل ذلك الولاية الكاملة على الكنيسة كلها ، في أمور الإيمان والآداب وتنظيم الكنيسة وإدارتها .
3-**النزاع بين البابوية والإمبراطورية :** فرض قسطنطين النصرانية على الامبراطورية الرومانية في مؤتمر نيقية سنة 325 م ، وفرض في هذا المؤتمر مع (318) أسقفا جماعة كهنوتية تلقي على الناس أوامر الدين وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين وأعلن أن تعاليم الدين لا بد أن يتلقاها الناس من أفواه رجال الكهنوت ، فكان الفصل بين السلطة الدينية التي يمثلها الكهنوت وعلى رأسهم البابا ، والسلطة الزمنية التي يمثلها الإمبراطور ، أو إن شئت فقل الفصل بين الدين والدولة ، الدين من أفواه الكهنوت ، والدولة تطبق القوانين الرومانية الوثنية .

وسائل الاتصال بين العالمين النصراني والاسلامي :

١ - **المراكز الإسلامية من دار الإسلام في أوربا** :فقد كان المسلمون يسيطرون على معظم سواحل البحر الأبيض المتوسط ، أي جنوب أوربا ، فكانت بأيديهم شبه جزيرة " إيبريا " (إسبانيا والبرتغال) وصقلية وجنوب إيطاليا وجزر البحر الأبيض المتوسط ، وكانت هذه المراكز مراكز اشعاع للحضارة الإسلامية تنشر ضوءها على جميع الأمم النصرانية في أوربا المظلمة . هذا وقد بدأت الحروب الصليبية في هذه الأماكن والمراكز واستطاع الأوروبيون دحر المسلمين وطردهم منها بعد أن استفادوا منهم .

٢ - **ارتياد الطلبة الأوروبيين للجامعات الإسلامية :**
كانت بلاد المسلمين تشهد نهضة علمية رائعة ، وانتشرت المدارس والجامعات جنبا إلى جنب مع المسجد ، فقد كان المسجد المدرسة الأولى للإسلام .

-كان المسجد المدرسة الأولى للإسلام فكانت الحلقات والمناظرات في الكلام والأدب والشعر والفقه والحديث تقام فيه . وكانت المكتبات والكتب توضع في متناول كل محب للاستزادة من العلم ، دون قيد ولا شرط ، ومن مراكز الثقافة

الإسلامية : بخارى وسمرقند وطشقند وبلخ ونيسابور والري.
وشيراز ، وأصفهان ، والقيروان ، وجامع الزيتونة في تونس ، وفاس ، ومراكش ، وقرطبة ، واشبيلية ، وغرناطة ، وباليرمو ، وباري .

وأهم المراكز الثقافية التي كان يؤمها ويرتادها الأوروبيون للعلم :

قرطبة في الأندلس ، وباليرمو في صقلية ، وباري في جنوب إيطاليا .
ففي سنة 360 هـ أم جماعة من رهبان دير ماري غالن جامعات الأندلس لدرس العربية وتحصيل معارفها ، كما أقبل الرهبان البندكتيون يطلبون العلوم الإسلامية .
وكانت جامعة قرطبة من أعظم جامعات الدنيا تقرأ فيها العلوم الطبيعية والفلكية والكيماوية .

3- الصلات التجارية بين الشرق والغرب :
لقد نمت التجارة وازدهرت في بلاد الإسلام في العصور الوسطى ، وكان للمسلمين صلات تجارية مع معظم بلدان العالم ، وامتدت تجارتهم إلى الشرق حتى وصلت الفلبين والصين ، وإلى الغرب حتى وصلت بلاد الفرنجة ، وإلى الجنوب حتى وصلت نيجيريا والحبشة وموزمبيق ، وإلى الشمال حتى وصلت إلى بلاد الروس وسيبيريا وفنلندا ، وأصبحت المدن الإسلامية مراكز حافلة بمظاهر التبادل التجاري البري والبحري ومنها : بغداد ، والبصرة في العراق والفسطاط ، والإسكندرية في مصر ، وسيراف ، وأصفهان في فارس وطرابلس وصيدا وبيروت في الشام ، والمنصورة في الهند .

أسلوب الاستعمار الذي مر بمرحلتين :
-- كانت حركة الكشوف الجغرافية التي تم شطر كبير منها في القرن الخامس عشر الميلادي أهم نتيجة عملية للنهضة الأوروبية ، وكان هدف الأوروبيين من هذه الحركة تحقيق أمرين :
أ- تطويق العالم الإسلامي لإضعافه تمهيدا لضربه في الداخل .
ب- البحث عن طريق تجاري لا يمر بديار المسلمين مع الهند .

وقد ساعد الأوروبيين في مهتمهم هذه ، الإسطرلاب ، والبوصلة والخرائط البحرية ، ومعرفة كروية الأرض ، فقد سعى البرتغاليون للحصول على علوم المسلمين الملاحية ، واستعانوا بالتجار اليهود في الأندلس .

إيفاد البعوث الكشفية الجغرافية ، ابتغاء الوصول إلى الهند بحرا فتمكن (بارثلميودياز) من الوصول إلى رأس الرجاء الصالح (جنوب إفريقيا) ، وأتم (فاسكودي غاما) ، بمساعدة العالم المسلم (أحمد ابن ماجد) الرحلة ، فوصل البرتغاليون إلى كاليكوت (فاليقوط) في الهند ، وأخذوا يقيمون المراكز ، والحصون ، والقلاع ، على السواحل الإفريقية والآسيوية ، لبسط سيطرتهم العسكرية والتجارية ، على هذه المنطقة ، وهزموا أسطولا إسلاميا ، ضم سفنا من المسلمين في الهند ، ومن دولة المماليك في مصر والشام ، ومن الدولة العثمانية في آسيا الصغرى والبلقان 915 هـ / 1509 م ، في معركة (ديو) شمالي بومبي بالهن د . فتأكدت سيادة الصليبيين على البحار وانحسرت قوى المسلمين في المحيط الهندي . وكانت رحلة فاسكودي جاما صليبية واضحة .

فماذا كانت نتيجة هذه الكشوف الجغرافية على بلاد الإسلام ؟

لقد تغيرت طريق التجارة عن بلاد الإسلام ، والبحر الأبيض المتوسط ، إلى المحيطات الكبرى – الأطلسي ، والهندي والهادي – فأدى ذلك إلى ضعف تجارة المسلمين ، ثم ضعف الصناعة ، والزراعة ، فقد هجر الناس المدن إلى الأرياف وعاد الكثير منهم إلى البادية ، فكسدت البضاعة ، وخوت الأسواق ، وقل عدد سكان المدن ، فأصبحت قرى ، الأمر الذي أدى مع الزمن إلى عزلة المسلمين ، وإلى شيوع الجهل والتأخر والأمية .وأما من الناحية العسكرية ، فقد طمع الصليبيون بعد أن أحاطوا بالعالم الإسلامي ، بوصول " مجلان " إلى الفلبين شرقا ، ملتقيا النفوذ الاسباني بالبرتغال .

حركة الإصلاح الديني – أو حركة الانشقاق الديني) :

إذ زادت مساويء الكنيسة مع بداية حركة النهضة الأوروبية ، واشتد عسف رجال الدين ، وتحكمهم في عقول الأوروبيين . وكان البابا قد احتاج لنفقات كثيرة في تزيين (فرسكة) كنيسة القديس بطرس (الفاتيكان) ، فابتكر وسيلة لجمع المال وهي : (**بيع صكوك الغفران**) التي حولت أمر الدين النصراني إلى مهزلة حقيقة .

فظهر **مارتن لوثر** في ألمانيا (1483 – 1546 م) وانتقد صكوك الغفران . وحرمه البابا ، فأسبغ عليه أمير سكسونيا حمايته ، وأقام في قلعته ، وترجم الإنجيل إلى الألمانية ، ونشره ، وأظهر مفاسد الكنيسة . فسمى أتباعه : **البروتستنت**(المحتجون) .ومما يدل على تأثر لوثر بالفكر الإسلامي فكرته التي نشرها : (لا خلاص إلا بالإيمان) وقوله : " ليس للبابا وحده حق احتكار تفسير الإنجيل "

4-الحركة الصهيونية

من جراء الثورة الصناعية في أوربا ، انتقلت المصانع من البيوت ، إلى المؤسسات الكبيرة ، التي تحتاج إلى أموال هائلة ، فاستغل ذلك اليهود الذين كانوا يملكون المال ، فبرزت البيوتات المالية اليهودية الكبيرة ، وفي مقدمتها بيت أسرة (روتشيلد) ، وأصبح زعماء اليهود يؤثرون تأثيرا كبيرا في العلاقات الدولية ، لأنها هي التي تحرك الصناعة ، وتستغل الحكومات ، في البحث عن مستعمرات فنشأت الفكرة الصهيونية في أحضان الاستعمار ، وولدت في فراشه . وأصبحت تمثل بعدا جديدا للاستعمار ، والغزو الغربي ، المتطلع للسيطرة والنفوذ في العالم الإسلامي . وقد حاولت الصهيونية منذ قيامها كحركة منظمة ، أن تضمن التحالف ، والارتباط بالدول الاستعمارية في العالم (فرنسا ، وألمانيا ، وبريطانيا ، والولايات المتحدة)

- أفرزت الصهيونية فكرا خطيرا في عالم الإسلام وفي العالم أجمع هو **الفكر الماسوني** .
والماسونية جمعية يهودية ، تهدف إلى تدمير القيم ، والأديان ، وهي تتشكل في إدارات اجتماعية ، هدفها الأساسي تنفيذ ما جاء في التوراة المحرفة ، من إحياء الأوهام التي تسيطر على الزعامات اليهودية ، من إقامة مملكة إسرائيل الكبرى وفي الوقت نفسه ، تحقيق ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون ، التي حملت المخططات الصهيونية اليهودية العالمية .والترجمة الحرفية للاسم تعني : (جمعية البنائين الأحرار) أي الذين لا تربطهم رابطة أو تلزمهم نقابة . وهي تزعم أنها مؤسسة اجتماعية ، فلسفية ، تحب الخير للإنسانية

5-الحركة الشيوعية :

ومن المصائب التي حلت بالعالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري ظهور الشيوعية ، كاتجاه عقائدي يناقض الإسلام بالكلية وككيان رسمي هدفه إبادة الوجود الإسلامي واستئصاله ليس من الاتحاد السوفيتي فحسب وإنما من المعالم أجمع .
والشيوعية فلسفة مادية جدلية للتاريخ ونظام الحياة تقوم أساسا على المادة ، ومعاداة الأديان ، تنتسب إلى " كارل ماركس " الفيلسوف الألماني وحفيد الحاخام اليهودي " مردخاي ماركس " . ركز مع الفيلسوف الانجليزي " إنجلز " على فكرة الصراع الطبقي في إحداث التغيرات الاجتماعية ، والتي أخذها عن فكرة (الديالكتيك) الجدلية من الفيلسوف الألماني " هيجل " بعد أن قلبها وجعل المادة أصلا لا الفكر . بل اعتبر الفكر نفسه مادة . كما أخذ كثيرا من أفكار " موشي هس " صاحب كتاب الدولة اليهودية الذي تأثر به " هيرتسل " صاحب فكرة الصهيونية الحديثة ومنظرها .